لإيرانيون و بداية التمهيد للمهدي عليه السلام

<"xml encoding="UTF-8?>

تتفق مصادر الحديث الشيعية والسنية حول المهدي عليه السلام على أنه يظهر بعد حركة تمهيدية له ، وعلى أن أصحاب الرايات السود من إيران يمهدون لدولته ويوطئون له سلطانه . وتتفق أيضاً على الشخصيتين الموعودتين من إيران : الخراساني أو الهاشمي الخراساني ، وصاحبه شعيب بن صالح . . إلى آخر ما ورد من أحاديثهم في مصادر الفريقين .

ولكن مصادرنا الشيعية تضيف إلى الإيرانيين ممهدين آخرين لدولة المهدي عليه السلام هم اليمانيون .

كما توجد في مصادرنا أحاديث تدل على أنه تقوم قبل ظهوره عليه السلام حركة ثائرة ، كالذي ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ ... بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ... ﴾ 1، وأنهم قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لآل محمد صلى الله عليه وآله إلا قتلوه) 2 . وحديث أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب ، أتدري لم ذلك ؟ قلت لا . قال : للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل ظهوره) 3 ، وهو يدل على أنه أهل بيته عليه السلام من بني هاشم وأتباعهم تكون لهم حركة قبله .

وقد نقل صاحب كتاب يوم الخلاص الحديث القائل : (يأتي ولله سيف مخترط) وذكر له خمسة مصادر ولم أجده فيها ، وإنما الموجود (ومعه سيف مخترط) ومثله موارد عديدة ذكر لها مصادر ولم نجدها !

فأحاديث التمهيد إذن ثلاث مجموعات : أحاديث دولة أصحاب الرايات السود المتفق عليها عند الفريقين .

وأحاديث دولة اليماني الواردة في مصادرنا خاصة ، ويشبهها ما في بعض مصادر السنة عن ظهور يماني بعد المهدي عليه السلام .

والأحاديث الدالة على ظهور ممهدين قبل ظهوره عليه السلام بدون تحديدهم . وسوف ترى أنها بشكل عام تنطبق على الممهدين الإيرانيين واليمانيين .

وقد حددت الأحاديث الشريفة زمان قيام دولة اليمانيين الممهدين بأنه يكون في سنة ظهور المهدي عليه السلام مقارناً لخروج السفياني المعادي له في بلاد الشام ، أو قريباً منه كما ستعرف .

أما دولة الممهدين الإيرانيين فتقسم إلى مرحلتين متميزتين

المرحلة الأولى ، بداية حركتهم على يد رجل من قم ، ولعل حركته بداية أمر المهدي عليه السلام حيث ورد أنه (يكون مبدؤه من قبل المشرق) .

والمرحلة الثانية ، ظهور الشخصيتين الموعودتين فيهم : الخراساني وقائد قواته الذي تسميه الأحاديث شعيب بن صالح .

وقد ورد في بعض الروايات أن الخراساني وشعيباً يكونان قبل ظهور المهدي عليه السلام بست سنوات ، فعن

محمد بن الحنفية قال : (تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان سوداء أخرى قلانسهم سود وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من بني تميم ، يهزمون أصحاب السفياني ، حتى تنزل ببيت المقدس ، توطئ للمهدي سلطانه ، يمد إليه ثلاث ماية من الشام ، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً) 4 .

لكن توجد في مقابلها روايات صحيحة من مصادرنا تقول إن ظهور الخراساني وشعيب مقارن لظهور اليماني والسفياني . فعن الإمام الصادق عليه السلام قال : (خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد ، في يوم واحد . وليس فيها بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق) 5 .

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال : (خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد ، في يوم واحد . نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا . فيكون البأس من كل وجه . ويل لمن ناواهم . وليس في الرايات أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو إلى صاحبكم) 6 .

وهذه هي المرجحة لقوة سندها ، بل فيها صحيح السند مثل رواية أبي بصير الأخيرة عن الإمام الباقر عليه السلام .

ويبدو أن المقصود بأن خروج الثلاثة متتابع كنظام الخرز مع أنه في يوم واحد : أن أحداث خروجهم مترابطة سياسياً . وقد تكون بدايتها في يوم واحد ثم تتابع حركتهم واستحكام أمرهم مثل تتابع الخرز المنظوم .

ومهما يكن فهذه هي المرحلة الأخيرة من دولتهم .

حديث : أن أمر المهدي عليه السلام يبدأ من إيران

وهو الحديث الذي ينص على أن بداية حركة المهدي عليه السلام تكون من المشرق ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (يكون مبدؤه من قبل المشرق ، وإذا كان ذلك خرج السفياني) 7 .

وبما أن المتفق عليه بن العلماء والمتواتر في الأحاديث أن ظهوره عليه السلام يكون من مكة المكرمة ، فلا بد أن يكون المقصود أن مبدأ أمره والتمهيد لظهوره يكون من المشرق .

وتدل الرواية أيضاً على أن هذه البداية تكون قبل خروج السفياني ، وتشير إلى أنه يكون بينها وبين السفياني مدة ليست قصيرة ولا طويلة كثيراً ، لأنها عطفت خروج السفياني عليها بالواو وليس بالفاء أو بثم : (وإذا كان ذلك خرج السفياني) ، بل تشير أيضاً إلى نوع من العلاقة السببية بين بداية التمهيد للمهدي عليه السلام من إيران وبين خروج السفياني ، وقد عرفت في حركة السفياني أنها ردة فعل لمواجهة المد الممهد للمهدي عليه السلام .

حديث : أتاح الله لأمة محمد صلى الله عليه وآله برجل منا أهل البيت

وهو حديث أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (يا أبا محمد ليس ترى أمة محمد صلى الله عليه وآله فرجاً أبداً ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم . فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد صلى الله عليه وآله برجل منا أهل البيت يسير بالتقى ، ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حكمه الرشا ، والله إني لأعرفه باسمه واسم أبيه . ثم يأتينا الغليظ القصرة ، ذو الخال والشامتين ، القائد العادل ، الحافظ لما استودع ، يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملأها الفجار ظلماً وجوراً) 8 .

وهو حديث ملفت لكنه ناقص مع الأسف ، فقد نقله صاحب البحار قدس سره عن كتاب الإقبال لابن طاووس قدس سره ، وقد قال في الإقبال ص 599 إنه رآه في سنة اثنتين وستين وستماية في كتاب الملاحم للبطائني ونقله منه ، لكنه نقله ناقصاً وقال في آخره : (ثم ذكر تمام الحديث) . والبطائني من أصحاب الإمام الصادق عليه

السلام وكتابه الملاحم مفقود النسخة ، وقد تكونً في المخطوطات المجهولة في زوايا بلادنا الإسلامية .
والحديث يدل على أنه يظهر سيد من ذرية أهل البيت عليهم السلام يحكم قبل ظهور المهدي عليه السلام ويمهد لدولته .
أما بنو فلان في قوله : (ما دام لولد بني فلان ملك) فلا يلزم أن يكونوا بني العباس كما فهمه المرحوم ابن طاووس ، وكذا الأمر في الأحاديث العديدة التي عبر فيها الأئمة عليهم السلام ببني فلان وآل فلان ، فأحياناً يكون المقصود بها بني العباس وأحياناً يكون مقصودهم العوائل والأسر التي تحكم قبل ظهور المهدي عليه السلام . .
مثلاً الأحاديث المتعددة التي تذكر الإختلاف الذي يقع بين بني فلان أو آل فلان من حكام الحجاز ، ثم لا يتفق رأيهم على حاكم ويقع الخلاف بين القبائل ثم يظهر المهدي عليه السلام ، فالمقصود فيها ببني فلان فيها ليس بني العباس ، بل العائلة التي تحكم الحجاز عند ظهور المهدي عليه السلام .
وكذا الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (ألا أخبركم بآخر ملك بني فلان ؟ قلنا بلى أمير المؤمنين . قال : قتل نفس حرام في بلد حرام عن قوم من قريش ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة) 9 .
وغيره من الأحاديث المتعددة التي تذكر اختلاف بني فلان أو هلاك حاكم منهم وأنه يكون بعده خروج السفياني ، أو ظهور المهدي عليه السلام ، أو بعض علامات وأحداث ظهوره القريبة ، فإنه لا بد من تفسيرها بغير بني العباس ، لأن زوال ملك هؤلاء المعنيين متصل بظهور المهدي عليه السلام .
بل لا بد من التثبت في الروايات التي ورد فيها ذكر بني العباس صراحة ، فقد تكون صدرت عن الأئمة عليهم السلام بتعبير (بني فلان) و (آل فلان) ورواها الراوي بلفظ بني العباس اعتقاداً منه أنهم المقصودون بقول الأئمة (بني فلان) .
وقد يصح تفسير بني العباس الوارد في أحاديث الظهور بأن المقصود به خطهم المناهض للأئمة عليهم السلام ، وليس أشخاصهم وذرياتهم .
ولكن نادراً ما نحتاج إلى هذا التفسير لأن الغالب في روايات الظهور التعبير ببني فلان وآل فلان .
وعلى أي حال ، فالمقصود ببني فلان في قوله (ما دام لولد فلان ملك حتى ينقرض ملكهم ، فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد برجل منا أهل البيت) حكام غير بني العباس يكون زوال ملكهم متصلاً بأحداث ظهور المهدي عليه السلام .
أما عبارة (ثم يأتينا الغليظ القصرة ذو الخال والشامتين القائد العادل) ، فهي تتحدث عمن يأتي بعد هذا السيد الموعود ، والمفهوم منها أنه المهدي عليه السلام الذي هو ذو الخال والشامتين كما ورد في أوصافه ، لكن وصف (الغليظ القصرة) أي البدين القصير لا ينطبق على المهدي عليه السلام لأن الروايات تجمع على أنه طويل القامة معتدلها . لذا نرجح وجود سقط في الرواية باستنساخ ابن طاووس رحمه الله أو غيره من النساخ ، ولا يمكن أن نستفيد منها الإتصال بين هذا السيد الموعود وبين ظهور المهدي عليه السلام10.

1. القران الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 5، الصفحة: 282.
2. الكافي : 8 / 206 .

3. البحار : 52 / 63 .
4. مخطوطة ابن حماد ص 84 و74 .
5. البحار : 52 / 210 .
6. البحار : 52 / 232 .
7. البحار : 52 / 252 .
8. البحار : 52 / 269 .
9. البحار : 52 / 234 .
10. عصر الظهور ، للعلامة الشيخ علي الكوراني العاملي حفظه الله.